

أ/ بودراع سميرة / أ/ بوجاجة مسعودة

المقياس: مدخل إلى علم الآثار

المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم الآثار

I - مفهوم علم الآثار:

علم الآثار هو ترجمة لكلمة أركيولوجيا « Archéologie » التي يعود أصلها للغة اليونانية القديمة (الإغريقية)، و هي تنقسم إلى قسمين : " أركيو Archeo " و معناها قديم أو عتيق و "لوجوس Logos "و معناها علم ، و هكذا يتضح معنى كلمة أركيولوجيا و هو: العلم الذي يدرس الأشياء القديمة.

أما اصطلاحا، فيمكننا القول أن علم الآثار هو العلم الذي يهتم بدراسة المخلفات المادية الدالة على نشاط الإنسان القديم، كما يدرس الإنسان القديم بحد ذاته و البيئة أو المحيط الذي عاش فيه.

II - نشأة مصطلح أركيولوجيا (Archéologie):

فإن مصطلح أركيولوجيا مشتق من اللغة اليونانية القديمة، حيث استخدم اليونانيون القدامى مصطلح " أركيولوج"، خلال القرن الأول ميلادي و أطلقوه على فئة من ممثلي الدراما بالإيماء .

كما استخدم الرومان كلمة أركيولوجيا خلال القرن الأول ميلادي من طرف المؤلف "دنيس دلكارنس Denis D'Halicarnasse" ، و الذي عاش في عهد الإمبراطور الروماني أغسطس (August)، في كتابه بعنوان " الأركيولوجيا الرومانية" ، تناول فيه الحروب البونية الثلاثة بين روما و قرطاجة و التي انتهت بفوز روما و سقوط قرطاجة سنة 118 م.

ليختفي المصطلح نهائيا استعمال حتى القرن السابع عشر ميلادي، حيث استعمله الرحالة الفرنسي جاك سبون (Jacques Spon)، في كتابه الذي ألفه سنة 1689 بعنوان " رحلة إيطاليا ، دلماسيا، يوغوسلافيا و بلاد الإغريق و الشام".

و عند ظهور علم الآثار كعلم مستقل بذاته يهتم بدراسة حياة الإنسان القديم تم اعتماد كلمة أركيولوجيا لتطلق على هذا العلم.

III - نشأة علم الآثار:

لقد سبق الإهتمام بجمع الآثار و التحف ظهور مصطلح أركيولوجيا، حيث أن ظهور علم الآثار و نشأته كعلم تطور عبر فترات زمنية مختلفة ، نتيجة لتطور عملية التنقيب و البحث عن الآثار، و تعود أولى بوادر الاهتمام بجمع التحف و الآثار إلى عهد الكلدانيين (625-538 ق م) ببلاد الرافدين ، على يد الملك الكلداني نابونيد (555-539 ق م)، الذي اهتم بالتنقيب عن الآثار في المعابد و الأبراج لجمع التحف التي خلفها أسلافه بحوالي ألفي عام.

و كان نفس الإهتمام بجمع التحف لدى ملوك بروجام بآسيا الصغرى خلال القرن الثالث ميلادي، و أسسوا بها متحفا من طرف الملك آتال (241-197 ق م).

و لم يبتعد الأباطرة الرومان عن هذا الاهتمام ، بل قاموا بجمع التحف مثلما فعل يوليوس قيصر (Julius César)، الذي قال عنه استرابو أنه كان مولعا بجمع التحف القديمة خاصة الأحجار الكريمة المنقوشة، كما قام الإمبراطور الروماني هادريان (Hadrianus)، بالاهتمام بالآثار من خلال تجديد و تزيين منشآت إغريقية و أنشأ في قصره رواقا لحفظ الرسوم، كما يعد أول من أنشأ متحفا للفن و الهندسة المعمارية، و نظرا لاهتمام الأباطرة الرومان بالتحف الأثرية فقد كانوا يقومون بجمعها و عرضها بالساحات العامة و المسارح و الحمامات.

و خلال العصور الإسلامية و بعد توسع الدولة الإسلامية ، قام الحكام و الملوك و الأمراء و السلاطين المسلمين بجمع التحف الأثرية ، و جلبها إلى قصورهم ، حيث كانت قصور الأمراء الأمويين و العباسيين تزخر بمختلف التحف و النفائس، و قد اهتم الفاطميون بجمع التحف على حساب الأغلبة و كان جمعهم جمعا منظما يهتم بقيمة التحفة الأثرية و الفنية، كما قام الحكام المسلمين بإعادة استعمال البقايا الأثرية في إنشاء مبانيهم الجديدة و تزيينها كالأعمدة و التيجان و غيرها.

و في المقابل و خلال العصور الوسطى اهتم أثرياء أوروبا و الحكام و العائلات الأرستقراطية بجمع التحف الثمينة و النادرة و خلق مجموعات متنوعة منها تستخدم لتزيين قصورهم و منازلهم.

و لم يقتصر الإهتمام بالآثار على الحكام و النبلاء فحسب بل تعداه إلى الكتاب و المؤرخين أمثال المؤرخ اليوناني هيرودوث (القرن 05 ق م) ، الذي ضمن كتاباته معطيات ووصف للآثار ، و كذلك نفس الشيء لدى المؤرخين و الكتاب الرومان، و منهم بلينيوس و فيتروفيوس و ديودور الصقلي و استرابو خلال القرن الأول ميلادي .

و خلال العصور الإسلامية نجد أن الكتاب و المؤرخين وخاصة منهم الرحالة و الجغرافيين فقد اهتموا بوصف المعالم الأثرية و أطلال المدن القديمة ، كالإدريسي و المقرئزي و المقديسي و ابن رسته و البكري، و منهم من دعى إلى حفظ الآثار و حمايتها و صيانتها كابن خلدون و عبد الله البغدادي باعتبارها جزء من تراث الأمة و تاريخها.

و من خلال ما سبق ذكره، نلاحظ أن الاهتمام بجمع الآثار و التحف منذ العصور القديمة لدليل على الإحساس بالقيمة الكبيرة لتلك الآثار سواء من الناحية الجمالية أو التاريخية و الحضارية، غير أن هذا الاهتمام لم يرق إلى دراسة الآثار و التنقيب عنها بطرق علمية صحيحة

بل كان الهدف من جمعها لإبراز الثراء و الثروة أو التفاخر و التباهي ، حتى أن الكتاب اهتموا فقط بوصف الآثار دون التطرق لقيمتها و أهميتها .

و يبدو أن الاهتمام الصريح بدراسة الآثار ، انطلق من إيطاليا خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر ميلادي، عندما انصبت الأبحاث حول الآثار الإغريقية و الرومانية ، و منذ القرن الثامن عشر ميلادي ظهرت عدة عوامل أدت إلى تغيير النظرة إلى الدراسات و الأبحاث الأثرية و توسيع مجالها ، و من أهمها:

- اكتشاف مدينتي بومبي و هيركولانوم و إجراء العديد من الحفريات بها .
- اكتشاف حصارات أقدم من الحضارتين اليونانية و الرومانية ، ما وسع مجال البحث الأثري لعصور أقدم و آثار مختلفة، فظهرت عدة تنقيبات بكل من بلاد الرافدين و مصر و غيرهما.
- اكتشاف مراحل ما قبل التاريخ و ما صاحبها من جدل حول أصول ظهور الإنسان و تطوره ، نظريات التكيف و التطور المختلفة.
- التمكن من فك اللغة المصرية القديمة من طرف العالم شمبليون سنة 1871م.
- ظهور العديد من الرواد و الباحثين في المجال الأثري ، ما أدى لظهور العديد من المؤلفات و النظريات و المناهج المتعلقة بالبحث العلمي في مجال علم الآثار.

لقد ساهمت هذه العوامل بصفة كبيرة إلى تغيير النظرة إلى الآثار و ظهور علم الآثار بمفهومه الحديث، الذي لا يفرق فيه بين تحفة أثرية من طين و أخرى من ذهب أو فضة، و بين بقايا عظمية أو أخرى ثمينة، بل أصبحت أهمية اللقى و المكتشفات الأثرية تقاس نسبة إلى قيمة المعلومات التي تعطيها للبحث الأثري بغض النظر عن معدنها.

III- مجالات علم الآثار و ميادينه:

يتسع مجال الدراسة في علم الآثار، فهو يدرس المخلفات و البقايا المادية للإنسان و التي تشمل العمائر و الصناعات الحجرية و العظمية و الفنون و غيرها، كما يدرس الإنسان بحد ذاته من خلال دراسة الهياكل العظمية و الجماجم للإنسان القديم، و يدرس أيضا بيئته و محيطه اي عاش فيه ، و ما يرتبط به من ظواهر طبيعية و تضاريس و مناخ ، باعتبارها تؤثر مباشرة في حياة الإنسان و استقراره ، و لهذا يجب دراستها للتعرف على الثروة الحيوانية و النباتية للتعرف على نمط المعيشة ، و أسباب الاستقرار في منطقة دون غيرها.

أما إذا أردنا حصر علم الآثار بمجال زمني محدد، فلا نستطيع تحديد علم الآثار في فترة محدودة، لأن الحياة متواصلة ومستمرة وكلما استمرت الحياة توسع المجال الزمني للبحث الأثري.

IV- أهداف علم الآثار: أهمها

- دراسة المواقع الأثرية و محتوياتها في إطارها الزمني و المكاني، ما يمكننا من فهم تسلسل الثقافة الإنسانية ، بمعنى إعادة بناء التاريخ الثقافي للإنسان بفحص و دراسة مجموعة من المواقع ووضع تسلسل نحلي و إقليمي لها.

- إعادة بناء طرز الحياة السابقة ، مع إتاحة فرصة عيش حياة الإنسان القديم عن طريق دراسة آثارهم.

- دراسة و تحليل الأصول المادية لحضارات الإنسان القديم عن طريق استقراء الشواهد المادية و الفكرية للعصور المتعاقبة عبر التاريخ.

- استخلاص القيم الثقافية و العلمية و الجمالية للآثار التي تركها الإنسان .

-محاولة حل ألغاز الحضارات القديمة و خاصة التي مازالت مبهمة و غير مفهومة.

V - مشاكل علم الآثار: أهمها:

- **العوامل الطبيعية:** من زلازل و فياضانات و عواصف و سيول و إنجرافات تربة و غيرها، و التي تؤدي إلى تدمير الآثار و إتلافها و ضياعها، ما يصعب من الدراسات الأثرية و الوصول إلى نتائج صحيحة

- **العوامل البشرية:** و التي تعد من أهم المشاكل التي تصعب البحث الأثري نظرا للتدخلات غير الشرعية على الآثار كأعمال التخريب و السرقة و إعادة استخدام المادة الأثرية و غيرها، ما يؤدي إلى تدمير الآثار و حتى زوالها نهائيا، كما أن عدم وجود إرادة سياسية للحفاظ على الآثار و دراستها تؤدي إلى تلف الآثار و زوالها بمرور الوقت.

- **الذاتية في البحث:** والابتعاد عن الموضوعية ، يؤدي إلى إعطاء نتائج غير صحيحة و تفتقر للموضوعية حسب ميول الباحث السياسية أو الإيديولوجية أو الثقافية.

- **التعصب:** سواء التعصب أو يعد التعصب الديني من أهم المشاكل التي تواجه البحث الأثري، فالتعصب لدين ما أو إيديولوجية معينة أو ثقافة محددة ، يكون سببا في تجاهل البقايا الأثرية العائدة لاتجاه آخر أخرى ، و حتى إلى تدميرها.